مجلة قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية
ISSN : 1112-993X E-issn :2710-8147
المجلد: 17 العدد:(01) - فيفري 2025 / ص48- ص58

علماء السيرة النبوية والمدائح الدينية بتلمسان في العهد العثماني.

The Scholars of the Al-Sīrah Al-Nabawīya Wā Al-Madā'iḥ Al-Dīnīā in Tlemcen(Algeria) during the Ottoman periods.

محمد بومدين[1]، جامعة أبو بكر بلقايد. تلمسان. (الجزائر) / **مخبر الدراسات الحضارية والفكرية**
Bōumedīen Mōḥāmed, department of history, Tlemcen University.
boumedinem999@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2024/02/15	تاريخ القبول:2025/01/23	تاريخ النشر: 2025/02/20

الملخص:

ولئن عرفت العلوم الدينية انتعاشًا عند علماء تلمسان على عهد العثمانيين، يبقى علم السيرة النبوية والمدائح الدينية أحد فروع هذه العلوم قليلاً من حيث التصنيف والتأليف، غير أن هؤلاء العلماء الذين كان لهم دور في تكريس هذا النوع النقلي من العلوم التي نالت قسطًا وافرًا من الدرس، نتيجة ارتباطها المباشر بالقرآن والسنة النبوية، كل ذلك أدى للإهتمام بها، لا يضاهيه اهتمام آخر بالعلوم العقلية المتبقية. فهذا النشاط الكبير في دراسة العلوم الدينية والتأليف فيها، اتخذ علماء هذه المدينة في سبيل الخوض فيه، أسس عقدية متينة، كان أولها المذهب المالكي الذي كان الطاغي بصفة مطلقة على هؤلاء العلماء، فضلاً عن ظاهرة التصوف التي سوف تصاحب كل العلوم تقريبًا في مناهجها ومعارفها. ليلتزم إذن علماء تلمسان في هذه الفترة بنسبة أقل بما كان سائدًا في الفترات التاريخية السابقة بالمنطقة، فيما يتعلق بالوسائل المنتهجة في معالجة القضايا الدينية وعلومها المتنوعة، وسوف يستمر نشاطهم هذا في ظل تغلغل عناصر سكانية جديدة على المنطقة، التي كان لها أثر كبير في الحياة النقلية والعقلية بمدينة تلمسان، بالتأليف والتصنيف، ومنهم من طرق أبواب هذه العلوم من دون أن يترك أثر ملموس، إلا أنه ساهم بشكل إيجابي في هذه الميادين. مِمَّا دفعنا لأن نترجم له.

كلمات مفتاحية: تلمسان؛ العهد العثماني؛ السيرة النبوية والمدائح الدينية؛ العلماء.

Abstract

The religious sciences witnessed a revival among the scholars of Tlemcen during the Ottoman era, who played a role in devoting this type of science, which received a great deal of study. As a result, a direct connection to the Al-Qur'ān and the Al-Sīrah al-Nabawīyah of the Prophet created the great interest that could not be compared to other interests in the remaining sciences. With this great activity in studying and writing religious sciences, the scholars of this city adopted solid doctrinal foundations. The first one was the Al-Mālikīwah school of thought, which was absolutely dominant over these scholars. In addition, the phenomenon of Āl-Tāṣāwūf will accompany almost all sciences in their methods and knowledge. Therefore, the scholars of Tlemcen in this period adhered less to what was prevalent in previous historical periods in the region, with regard to the methods used in dealing with religious issues and its various sciences. Their activity will continue with the help of the penetration of new population elements into the region. This had a great impact on the literary and intellectual life of Tlemcen, through authorship and classification, and some of them investigated these sciences without leaving a tangible impact, but they contributed positively in these fields. Thus, we were prompted to translate this work.

[1] المؤلف المرسل: د. محمد بومدين، boumedinem999@gmail.com.

Keywords: Tlemcen; the Ottoman periods; the Al-Sīrah Al-Nabawīya wā Al-madīḥ Al-nabawīā; the scholars.

مقدمة:

استفاد علماء تلمسان في الفترة العثمانية مِمَّا استفادت منه مؤسساتهم الثقافية من التراث الزياني، فلم تختلف العلوم وتقسيماتها، ولم يقتصر أثر العلماء على التخصص في لون معين من العلوم خلال الفترة الحديثة، مع بعض التغييرات الفكرية والعلمية التي ظهرت نتيجة ذيوع بعض المستجدات الاجتماعية والثقافية التي حددت ثقافة المجتمع التلمساني آنذاك، بسبب العاصفة السياسية والعسكرية الذي ضربت الهياكل الثقافية بإيالة الجزائر ومدنها، ما أدى إلى إعادة المدرسة التلمسانية ترتيب مناهج علومها وأساليبها، فظهور الدارجة من جهة، واللغات الأوروميتوسطية مثل: الفرانكا...، ناهيك عن انتشار الشروحات، والتعاليق، والتذاييل، والاختصارات في إنتاج المؤلفات العلمية والأدبية، كل ذلك كان له دور في تراجع الابداع والإبتكار في تصنيف العلوم التي بقيت حبيسة الانغلاق على الذات. ومع ذلك شاهدنا النخبة التلمسانية تبرز بشكل مُتقدم جدًا في شتى العلوم والآداب بما فيها علم السيرة النبوية والمدائح الدينية.

ومِمَّا تجدر الإشارة إليه، أن الفسيفساء الاجتماعية التي عرفتها تلمسان وقتذاك من تنوع العناصر الاجتماعية الواردة عليها خلال هذه الفترة، قد زرعت بذور علمية جديدة، عُدت ذخائر فكرية رسمت معالم ثقافية لم تعرفها هذه المدينة من قبل. فالأندلسيون والمورسكيون، والأتراك والكراغلة، والحضر، وبيوتات العلم الشريفة...، قد وضعت لمستها العلمية لدرجة ارتقت بواسطتها تلمسان إلى منزلة حضارية راقية.

ومرد ذلك كله، يعود إلى تأثر المجتمع التلمساني بثقافة العناصر الجديدة هذه، التي وجدت المساعدة من الإدارة العثمانية، ومختلف التسهيلات الدينية والعلمية التي كانت دافعًا لهم للاجتهاد العلمي والتطور الثقافي أكثر.

وفي هذا السياق، يمكننا أن نتساءل عن وضعية هذه الفئات العلمية الجديدة، والفئة العالمة المحلية. ومدى تمكنهما من معايشة الوضع السياسي الذي كانت له آثار وخيمة على فئات معينة دون غيرها. ومع ذلك فلا غرابة أن نجد أن الانتاج التلمساني في علوم المعرفة وعلى رأسها العلوم النقلية لم يكن على ما يبدو مرتبط دائمًا بهذه الأوضاع، فقد قمنا بإحصاء عدد لا بأس به مثلا من الكتب في ميادين علوم السيرة النبوية التي برز فيها عدد ليس بالقليل من علماء هذه المدينة، فيمَا لا يدع مجالا للشك عن الحيوية التي تمتعت بها النخبة العالمة ومختلف مشاربها في تلمسان على عهد العثمانيين.

ومن هذا الباب، تُعد تلمسان واحدة من المدن الّتي احتضنت الكثير من علماء السِّيرة والمدائح النبوية، الذين كان لهم دور كبير في ربط أواصر التلاقح الثقافي بين مدينتهم تلمسان ومختلف المراكز الحضارية بالبلدان الإسلامية، منتجين بذلك قالب فقهي وصوفي نبعت منه مدرسة تلمسان في ميدان السيرة النبوية الذي تغذى من رحيق المناهج الفقهية والصوفية بالمشرق الإسلامي. ما يحتم علينا الوقوف على اسهامات هؤلاء الجهابذة من العلماء، في وضعية طلبية تفرض علينا توجيه عرضنا هذا إلى جملة من التّساؤلات مفادها:

إلى أي حد ساهمت نخبة تلمسان في علم السيرة والمدائح الدينية؟ وما سيرة رجالاتها ومؤلّفاتها في هذا المجال بالذات؟

وبناء على هذه الطُروحات ومقدماتها، جاءت سطور هذا العرض التاريخي لتساهم مساهمة جادَّة في الحقل البيبليوغرافي الثقافي لمدينة تلمسان ومدارسها الفقهية والدينية إبان الفترة الحديثة، المُركَز على تمظهرات النتاج العلمي والأدبي في السيرة النبوية الخاص بفقهاء حاضرة تلمسان وعلمائها، في ورقة علمية موسومة بـ: "**علماء السيرة النبوية والمدائح الدينية في مدينة تلمسان خلال العهد العثماني**"، بغية إماطة الأستار عن موضوع مهم يرتكز في مضانه البحثية على ضلعين اثنين. نوجز إشكالاتهما على النحو التالي:

. **الضلع الأول**: مُخصص لمدى إهتمام علماء تلمسان بالعلوم الدينية زمن العثمانيين.

- **الضلع الثاني**: يُركز بالدراسة المعتمدة على الجرد البيبليوغرافي التاريخي على مظاهر انعكاف علماء مدينة تلمسان بعلم السيرة النبوية والمدائح الدينية زمن العثمانيين.

وإنطلاقا من هذه الإشكالات وغمزاتها المتتالية المتمحورة حول النتاج العلمي والأدبي في علم السيرة النبوية والمدائح الدينية لمدرسة تلمسان خلال الفترة الحديثة، إرتأينا أن نسلك منهجيًا ومعرفيًا دُروب هذه الورقة البحثية على نمط الجرد البيبليوغرافي المفهرس، بهدف نفض الغبار عما ساهم به علماء مدينة تلمسان من إرث تأليفي في علم السيرة وفروعها ذي الإنتاج الراقي والدقيق.

1. إهتمام علماء تلمسان بالعلوم الدينية زمن العثمانيين:

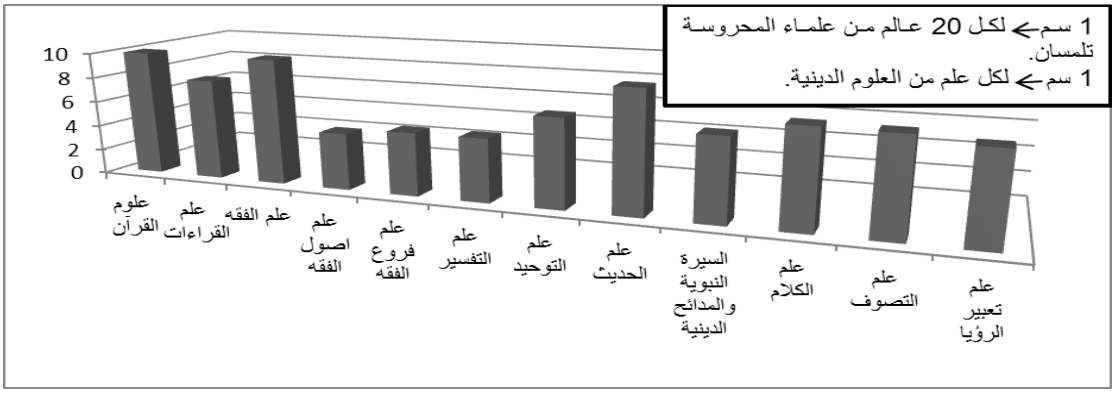
لقد قاد الإسلام المسلمين إلى بناء حضارة ليست مثل باقي الحضارات، إذ جمعوا هذه الحضارات وصهروها، وقدموا حضارة إسلامية تفوق التي سبقتها بدرجات كبيرة، ومُرتبطة بها لأنها نقلت عنها المعرفة الدينية. فيقول أحد المستشرقين في كتابه **"تكوين الإنسانية"**: العلم هو ما أعظم ما قدمته الحضارة العربية إلى العالم الحديث عامة، وكانت الحضارة الإسلامية حضارة شاملة، ويدل هذا على ما أضافته من علوم جديدة للإنسانية[1]. وهو بذلك يقصد العلوم المُنبثقة عن الشريعة الإسلامية، والتي اقتضاها كل من القرآن والحديث الشريف، وهذه العلوم هي العلوم النقلية المستندة إلى النقل، كأصول الفقه والفقه، والحديث، والتفسير، وعلم السيرة النبوية، وغيرها[2].

لقد كثرت الدراسات الدينية والشرعية بين الجزائريين خلال العهد العثماني حتى أنه يمكن القول بأن أغلب إنتاج الجزائر خلال هذا العهد يكاد ينحصر في مختلف ميادين هذه العلوم. لأن كثرة التأليف فيه يبرهن على سيطرة العلوم المذكورة على الحياة الفكرية عندئذ[3]. ولا شك أن ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى كون القرآن والحديث، المنبع الذي يستمد منه الجزائريون كل ألوان تفكيرهم وأنماط حياتهم[4].

ولقد بلغت درجة اهتمام سكان إيالة الجزائر بالقرآن الكريم أن خصَّصوا له وقتًا كبيرًا في تكريره أو حفظه في المساجد خاصة، وهي الملاحظة التي سجلها الأسير الإسباني **" Diego Haedo "** بشيء من التفصيل في كتابه **"Topographie et histoire Générale D'alger"**[5].

وأهم ما تميزت به هذه العلوم في هذه الفترة هو التقليد والتكرار والحفظ، فالفقهاء قلما اجتهدوا أو استقروا بآرائهم، بل كانوا يقلدون سابقيهم، بل وفي كثير من الأحيان ينقلون عنهم تفكيرهم[6]، بالرغم من الثورات الفكرية التي ظهرت عند بعض العلماء الفقهاء كعبد الكريم الفكون الحفيد، محاولين تحطيم الجمود الفكري السائد آنذاك. فصِفة التقليد في نقل الرواية كان عند علماء تلمسان في القرن الأول من العهد العثماني أساسًا يستند عليه كل الفقهاء في هذه المدينة، حالهم حال كل علماء العالم الإسلامي. فكانوا يرددون أقوال المتقدمين ويحفظونها حفظًا سطحيًا، لا عقل فيه ولا تفكير، ويسردون المسائل كما هي في الكتب لا كما تقبلها أو ترفضها عقولهم[7].

مِبيان: أعمدة صاعدة تبين مقدار اهتمام علماء تلمسان بكل علم من العلوم الدينية والشرعية.



المرجع: (من إعداد الباحث).

نلاحظ من المِبيان أن علماء تلمسان في هذه الفترة الزمنية قد اهتموا بالعلوم الدينية اهتماما لم يخرج عما إعتاده علماء الأمة الإسلامية في الفترتين الوسيطة والحديثة، فعلوم القرآن والقراءات، إلى جانب علم الفقه وأصوله وفروعه، وعلم الحديث، وعلم السيرة النبوية ... وغيرها، كانوا في مقدمة العلوم التي كانت رائجة في تلمسان، مع رواج ملفت للنظر لعلوم التوحيد، والسيرة النبوية، التي كادت تقترب من العلوم الآنفة الذكر فيما يخص إلتفاف علماء المدينة المذكورة بها، مع ظهور علم التصوف الذي بات يسيطر على بقية العلوم الدينية، منهجًا، وتدريسًا، وتأليفًا.

2. السيرة النبوية والمدائح الدينية عند علماء تلمسان زمن العثمانيين:

السنة في اللغة مشتقة من **"سنَّ الشيء"**: إذا أرسله، قال ابن فارس: **"السين والنون أصل واحد مطرد، وهو جريان الشيء واطراده في سهوله"**، والأصل قولهم سَنَنْتُ الماءَ على وجهي أَسُنُّهُ سَنًا: إذا أرسلته إرسالاً[8]، وهي الطريقة والسيرة[9].

أما اصطلاحاً: "**هي ما نُقل إلينا من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم منذ ولادته قبل البعثة وبعدها وما رافقها من أحداث ووقائع حتى موته**". وتشتمل ميلاده صلى الله عليه وسلم ونسبه، ومكانة عشيرته، وطفولته وشبابه، ووقائع بعثته، ونزول الوحي عليه، وأخلاقه، وطريقة حياته، ومعجزاته التي أجراها الله على يديه، ومراحل الدعوة المكية والمدنية، وجهاده وغزواته[10].

أما المديح النبوي، فيعتبر: "**فنا من فنون الشعر التي نشرها التصوف وساهم في ترسيخها، وهو لون من التعبير عن العواطف الدينية وباب من الأدب الرفيع، لأنه يصدر عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص**"[11] تنبض بحب النبي صلى الله عليه وسلم، وبتعداد صفاته الخلقية، وإظهار الشوق لرؤيته وزيارة قبره وروضته الشريفة، كما يهتم هذا الفن بإظهار معجزاته المادية والمعنوية، والإشادة بغزواته وصفاته المثلى، والإكثار من الصلاة والسلام عليه تقديرًا وتعظيمًا، وطلبًا للأجر من الله عز وجل بالثناء عليه صلى الله عليه وسلم[12].

ألف الجزائريون في السيرة النبوية عِدَّة أعمال، ونظموا فيها الأشعار والأراجيز، ومن الممكن أن نَعُد كل ما قيل من شعر في المدائح النبوية جزءًا من تاريخ سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، كما يعتبر **"أبو القاسم سعد الله"** أن كل ما كُتِب أو نُظِم في الرِّحلات الحجازية على أنه من صميم السيرة، فمجال السيرة إذن واسع. ومن أقدم المؤلفات التي يمكن أن نشير لها في العهد العثماني من قبل العلماء التلمسانيين، زمن مظاهرها نجد شرح أحمد بن محمد البجائي التلمساني على **"الشقراطسية"**، وهي القصيدة التي نظمها محمد بن علي بن شباط التوزري في السيرة، ويبدو أن شرح التلمساني عمل مهم، فقد وصفه **"إبن عسكر"** بأنه **"شرح عجيب"**[13].

ومن علماء تلمسان الذين ساهموا في السيرة والمديح النبوي، نذكر العالم أبي عبد الله محمد بن عبد الجبار بن ميمون بن هارون المسعودي الفجيجي التلمساني **ت: 950هـ/1558م)**، الذي له منظومات في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، أخذ عن سيدي أحمد بن يوسف الراشدي، وكتب عنه مجلدًا كبير في مدح النبي عليه الصلاة والسلام، وأخذ عنه محمد بن عبد الرحمن الكفيف السويدي وأحمد الحاج النميش العامري[14].

والعالم حدو بن الحاج بن سعيد المناوي اليبدري التلمساني **(ت: 998هـ/1589م)**، من مؤلفاته: **"منظومة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم"**[15].

وأبو العباس أحمد شهاب الدين بن محمد المقري القرشي التلمساني **(ت: 1041هـ/ 1641م)**، حيث كان قد ألف في السيرة النبوية عدة تآليف، مثل **"الدر الثمين في أسماء الهادي الأمين صلى الله عليه وسلم"**[16]، و**"النفحات العنبرية في وصف نعال خير البرية صلى الله عليه وسلم"**[17]، و**"خلاصة فتح المتعال والنفحات العنبرية"**[18]، وهي أرجوزة تحتوي على مائة وتسعين بيت، و**"الأسماء النبوية"**، و**"فتح المتعال في مدح النعال"**، مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق. وله أيضًا كتاب سماه: **"الأنوار وكنز الأسرار في نسب آل النبي المختار صلى الله عليه وسلم"**[19].

ومن هؤلاء العلماء أيضًا، نضيف العالم أبي عبد الله محمد بن علي سيدي العبدلي **(ت: 1035هـ/1625م)**، الذي قال فيه تلميذه **"إبن الصائم"**: «**(...) وقد كان سيدي العبدلي مشتغل (...)، والمدائح النبوية (...)**»[20].

والعالم أبي العباس أحمد بن محمد التلمساني **(كان حيا سنة: 1127هـ/1715م)**، الذي ألف كتاب سماه **"مفاخر الاسلام في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم"**[21].

والعالم أبي العباس أحمد بن ثابت الشريف الحسني التلمساني التونسي **(ت: 1152 هـ/ 1739م)**، وكتابه **"التفكر والاعتبار في فضل الصلاة على النبي المختار"**[22].

وهكذا نجد تاريخ السيرة النبوية قد اختلط عند الكثير من العلماء الجزائريين ومنهم التلمسانيون بشعر المديح النبوي وبالحديث وفروعه وبرِحلات الحج، على أن كثيرين مِمَّن تعلقوا بشمائل الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا من الشعراء[23].

تضَلَّعت النخبة التلمسانية كما أسلفنا الذكر، في علوم الفقه، والقراءات، والحديث، والتوحيد، والسيرة النبوية، والتفسير...، حيث تركت تآليف في شتى هذه العلوم، التي توجد نسخ مخطوطة منها في المكتبات العالمية حتى اليوم. وكان ميلهم أكثر للاختصار في التأليف والذي كان روح هذا العصر والذي قبله[24].

أ- نماذج من علماء السيرة النبوية والمدائح الدينية في تلمسان على عهد العثمانيين . جرد بيوغرافي وبيبليوغرافي :

رغم أن بعض العلماء التلمسانيين لم تذكر لهم كتب التاريخ والتراجم مؤلفات لهم، إلا أنها أقرَّت بمدى المكانة التي احتلوها في علم السيرة والمديح النبوي، فهذا عالم المغرب **"جسوس"** يُثني على علماء تلمسان في هذا العلم، ويُقر بضرورة كفاية طلاب العلم بما فصل فيه وأخرجه فطاحل هذه المدينة في خِصال الرسول صلى الله عليه وسلم.

وفي هذا الباب قال **"جسوس"** في شأن مدائح الشيخ أبي مدين الغوث التي اشتهرت في المغرب الأقصى عند علمائه، والتي منها **"شرح همزية الامام البوصيري"** الموسومة بـ: **"الفوائد الجليلة البهية على الشمائل المحمدية"**، حيث قال: «**(...) إن في ذكرها وسماعها تنعما وتلذذا بحبيب القلوب وقرة العيون صلى الله عليه وسلم (...) وللشيخ الغوث سيدي أبي مدين نفعنا الله به (...)**»[25].

وفي شأن **"المقري"**، يقول: «**(...) وقد ذكر الإمام المقري في فتح المتعال ما فيه كفاية (...)**»[26].

أما لقب **"التلمساني"** فقد كان منتشرًا في المغرب الأقصى، ويُوثق به في الاستناد على أقوال العلماء فيما يخص آراءهم حول سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، بمثل ما قام به **"الشيخ جسوس"** في أكثر من موضع من مؤلفه المذكور، حيث قال: «**(...) وقال الشيخ يوسف بن عمر قال التلمساني (...)**»[27]. من دون التعريف بهذا العالم التلمساني من يقصد به، ويُضيف الكلام في السياق نفسه، قائلاً: «**(...) بهذا قرر شيخنا المحقق أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الرحمن بن زكري رفع الله سبحانه قدره (...)**»[28].

ومن علماء تلمسان الذين ألفوا في هذا العلم ووصلتنا مؤلفاتهم أم الذين لم تصلنا، نذكر:

. أبو الطيب الحسن بن يوسف بن مهدي بن يحيى بن مهدي بن محمد بن يوسف بن مهدي العبد الوادي ثم الزياتي التلمساني (ت: 1022هـ/1614م):

يُمكن اعتبار أبا الطيب العبد الوادي من المُتخصصين في علوم السيرة النبوية، عندما أولاها عناية على حساب بقية العلوم، حيث صنف فيها كُتبًا، لازالت مخطوطة في مكتبات العالم، منها: **"صلوات على النبي"**، محفوظة بمكتبة مخطوطات الأزهر الشريف، بقسم الأدعية والأوراد[29]. ومخطوط **"شرح صلاة ابن مشيش"**، هو الآخر نسخة منه محفوظة بمكتبة مخطوطات الأزهر الشريف، بقسم مجاميع العلوم[30].

. شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت: 1041هـ/ 1631م):

شارك **"المقري"** في علم السيرة، وله منظومة **"أزهار الكمامة في أخبار العمامة"** تندرج ضمن فن السير والشمائل، موضوعها أدب نبوي، يَذكر من خلالها ألبسة الرسول صلى الله عليه وسلم، وصفًا ومدحًا، لاسيما عمامته صلى الله عليه وسلم التي صب عليها سيل مدائحه على حد تعبير مُحقق المنظومة **"بدر المقري"**[31].

. أبو زيد عبد الرحمن بن ادريس بن محمد بن أحمد بن علي الحسني الإدريسي المنجرة التلمساني (ت: 1191هـ/ 1776م):

تنوعت على ما يبدو مؤلفات **"المنجرة الصغير"**، حيث شرح هذه المرة **"نفح الطيب في شرح تخميس ابن مهيب"**، التي نُسخت بتاريخ **1219هـ/1811م**، وهي تخميس أبي بكر محمد بن مفضل بن مهيب يعرف بشمس القصائد في مدح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وهو تخميس على القصائد العشرينيات لأبي زيد عبد الرحمن بن يخلفتن بن أحمد الفازازي **(ت: 627هـ/1219م)**[32].

ب/ المديح النبوي:

تندرج بكثرة قصائد المدح النبوي ضمن أعمال نخبة تلمسان بالمغرب الأقصى، لارتباطها بسيرة خير البرية محمد صلى الله عليه وسلم، فكثير هم الشعراء التلمسانيين الذين مدحو النبي صلى الله عليه وسلم في أشعارهم، وتميزت هذه الأخيرة بالتنوع في الأغراض الشعرية، حيث كانت تحتوي على الرثاء، المدح، الفخر...، وتصب كلها في التشوق لرؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومن الشعراء الذين برزوا في هذا الميدان، نجد:

. أبو عثمان سعيد بن عبد الله المنداسي التّلمساني (ت: 1088هـ/1680م):

من العلماء المعارضين للعثمانيين تلمسان، وعلى إثر تولى السلطان إسماعيل العلوي **(ت: 1139هـ/ 1727م)**، الحكم بالمغرب الأقصى[33]، أصبح لهذا الشاعر مكانة مُميّزة هناك، مكّنه بها السّلطان المذكور، ليكون دافعًا علميّا استثمره خير استثمار في التأليف، والتّغني بالقصائد الّتي كان منها: **"الأزهار المتضرعة بعرف العقيقة"**[34] على شكل قصيدة لاميّة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم قام بتخريجها في بلاط السلطان إسماعيل عام **1088هـ/1680م**، عدد أوراقها في مجموع من **98/ب إلى 113/ ب**[35].

ومن العلماء الجزائريين الذين قاموا بشرح هذه **"العقيقة"** أبو راس الناصري، الذي قال فيها وفي مؤلفها: «**(...) العلامة الرباني سيدي سعيد بن عبد الله التلمساني قدس الله سره وحماه ومنحه الرضوان وحرس حماه، فلقد قلد جيد الحضرة النبوية فخرا وأمداحا وأدار على المسامع كؤوسا و أقداحا مما يطرب الأطباع ويذهب بها كل مذهب ويستوجب أن يكتب بذوب الذهب، لقد ابدع في ترتيب قوانينها أول وثاني وثالث، فجاءت أشهى والذ من نغمات المثاني والمثالث، وهي وإن كانت من الشعر الملحون، فقد احتوت على غرائب وعجائب من اللغة والبلاغة واللحون، حتى انقادت تمائم القصائد إلى سحرها، وصارت واسطة عقد نحرها، وما في الملحون من بأس، فإنه في هذا العصر لسان الكثير من الناس**»[36].

. أبو العباس أحمد بن محمد بن القاضي التلمساني (توفي في حدود: 1180هـ/1766م):

ومِمَّن أثرى الأدب بالمغرب الأقصى خلال الفترة الحديثة، الأديب **"إبن القاضي التلمساني"**، ومِمَّا وصلنا من أخباره أن له عدة **"أمداح نبوية"**[37].

. أبو العباس أحمد التلمساني الرباطي (ت: 1210هـ/1800م):

كان هذا العالم مشاركًا في شعر الأمداح النبوية، ودفن قرب الجامع الكبير بالرباط[38].

. أبو زبد الرحمن بن سعيد التلمساني التطواني (ت: 1227هـ/1819م):

مِمَّا تركه هذا العالم **"شرح قصيدة البردة"**، في الشعر الديني، وهي مخطوطة محفوظة تحت رقم: **11776**. بالخزانة الحسنية (الملكية)[39].

. أبو محمد الحاج الداودي التلمساني (ت: 1271هـ/1854م):

كان الحاج الداودي أديبًا يقرض الشعر الديني، ومن تآليفه في هذا النوع من الشعر **"شرح البردة"**[40].

- **خاتمة:**

إن الإسهامات المُكثفة للنخبة التلمسانية في علم السيرة النبوية في العهد العثماني، تفرض علينا تبني نتائج مُهمة، متعلقة بمدى انعكافهم بعلوم السيرة النبوية، مفادها:

ـ تفرغ علماء تلمسان كلية للعلوم الدينية، فقد لاحظنا حيويتهم تظهر أكثر مع علوم القرآن والقراءات، ثم الفقه، والحديث والسيرة النبوية، والتوحيد، وبدرجة أقل، كل من علم التفسير وعلم الكلام، مع مشاركتهم في العلوم الأخرى، مثل المديح النبوي والفرائض...، حتى أنهم لم يخرجوا بذلك عما إعتاده علماء البلاد الإسلامية من إعطاء الأولوية لعلوم القرآن ثم علم الحديث، ثم تأتي اهتماماتهم ببقية العلوم الدينية حسب الأولوية الشرعية. فكان العالم آنذاك، مُلمًا بالعلوم كلها، ولو فضَّل بعضها على بعض، فإنه لا يتركها على العموم.

ـ استنتجنا بعد الاستشهاد والتحليل، أنه رغم كون نخبة تلمسان من العمداء في العلوم الدينية، إلا أن بعضهم اشتغل بتدريس هذه العلوم أكثر من التأليف فيها، ولو أننا وقفنا على كم هائل من المُصنفات خصوصًا في علم السيرة النبوية، فإنها حقيقة لا توازي عدد علماء تلمسان في هذه العلوم التي لم يبلغوا فيها الذروة في الإنتاج والتحقيق...

ـ آثرت نسبة كبيرة من أعلام تلمسان البقاء في مدينتها والمشاركة في تفعيل الحركة العلمية فيها، وبهذا ظلت العلوم الدينية ومن ضمنها السيرة النبوية والمدائح الدينية تتطور مع عائلات علمية ذات شأن كبير ومن أصول مختلفة، تناوبت على فروع علوم السيرة والمديح النبوي أبًا عن جد. مثل: **"عائلة اليبدري"**، و**"عائلة العبد الوادي"**، و**"عائلة المقري"**،...، وغيرها. وإن لاحظنا تمكن العائلات الأندلسية والمورسكية في هذه العلوم، نتيجة ما وجدته من تسهيلات وتحفيزات اجتماعية ودينية وحتى سياسية، قد شكلت لها باعث إيجابي على الاجتهاد في مهامها الدينية والعلمية.

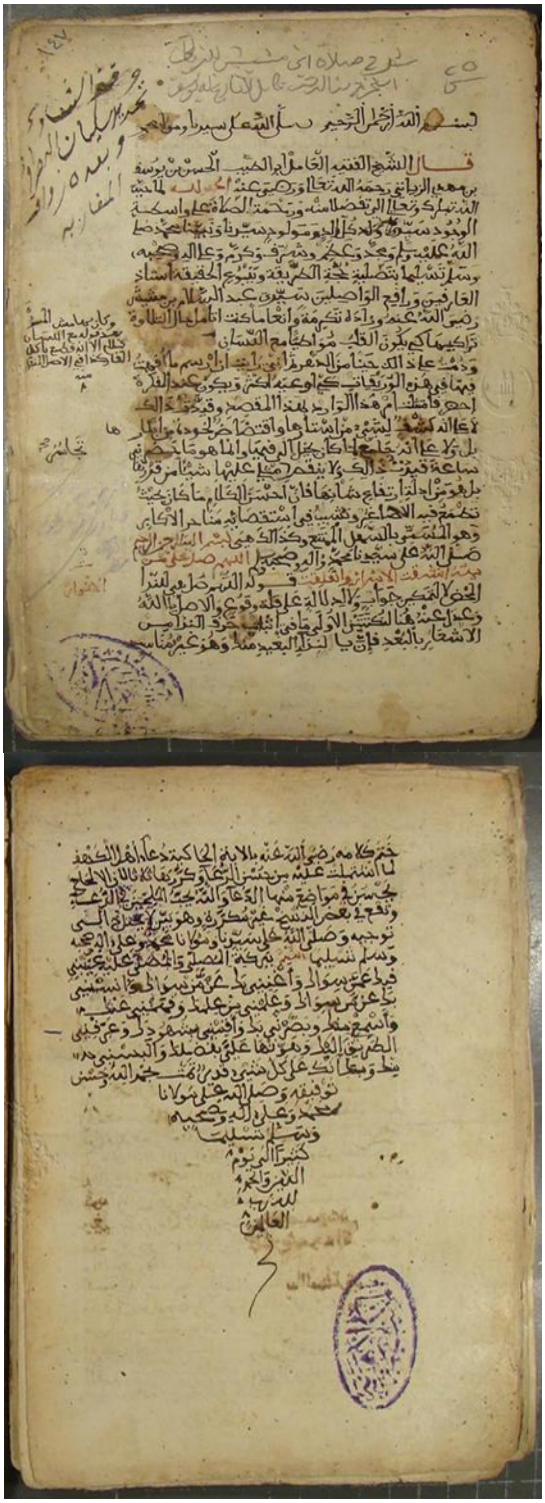
ـ أنَّ أهم ما أُنتِج في هذه العلوم، كان يغلب عليه الجانب العقدي، فالعقيدة أو التوحيد، قد طغت على مدرسة تلمسان بمثل ما كانت عليه زمن بني زيان، فلا نكاد نقرأ مؤلفًا في السيرة النبوية لعالم تلمساني زمن العثمانيين إلا وأشار بالتصريح أو التضمين بوُجوب النظر إليه بعين العقيدة.

ـ يُعدُّ التصوف السني من بين العلوم المُهمة التي أخذت نصيبًا وافرًا من مسيرة علماء تلمسان في انعكافهم على علوم السيرة المديح النبوي، فقد تناولوه بالممارسة الروحية، والعملية، والتعليمية، والتأليف، وبلغ بعضهم درجات القَبطانية بشهادة تلامذتهم وحتى شيوخهم، فكانت نزعتهم صوفية في تدوين أثرهم العلمي والفكري في العلوم الشرعية، بل وبلغ بهم الأمر أن توجهوا إلى علم المرائي الذي هو أكثر عُمقًا من التصوف واصبح ممزوجا أكثر ببقية العلوم، فيما يتعلق بالحياة الرُوحية والدينية لعلماء ذلك الوقت، بما فيهم العالم التلمساني الذي بات مثل غيره من علماء عصره يتغنى بمشاهداته للرسول صلى الله عليه وسلم، في النوم واليقظة.

- **الملاحق:**

الملحق رقم 01: مخطوطة "شرح صلاة ابن مشيش"، للعالم أبي الطيب الحسن بن يوسف بن مهدي بن يحيى بن مهدي بن محمد بن يوسف بن مهدي العبد الوادي ثم الزياتي التلمساني (ت: 1023هـ/1614م).

الورقة الأولى **الورقة الأخيرة**

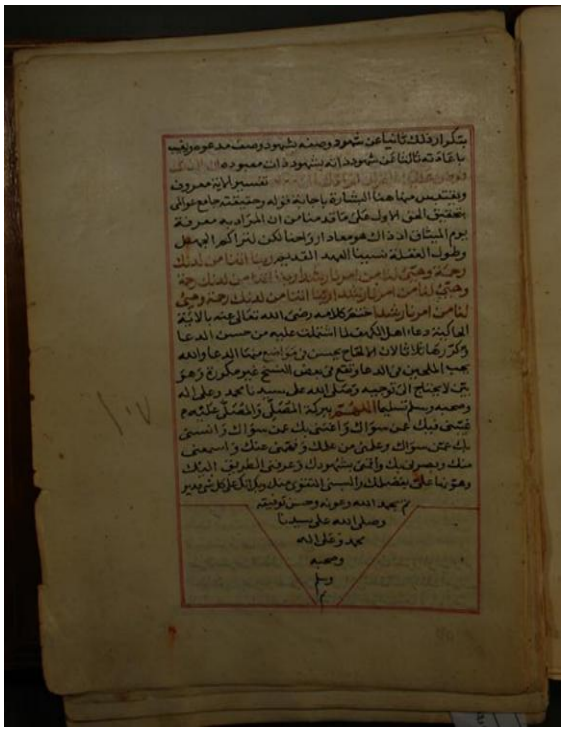


(المصدر): مكتبة مخطوطات الأزهر الشريف، قسم مجاميع العلوم، يحمل رقم: **48592**، عدد الأوراق: 08.

الملحق رقم 02: مخطوطة "صلوات على النبي"، للعالم أبي الطيب الحسن بن يوسف بن مهدي بن يحيى بن مهدي بن محمد بن يوسف بن مهدي العبد الوادي ثم الزياتي التلمساني (ت: 1023هـ/1614م).

الورقة الأولى **الورقة الأخيرة**





(**المصدر**): مكتبة مخطوطات الأزهر الشريف، قسم الأدعية والأوراد، يحمل رقم: **40161**، عدد الأوراق: 06.

- **الهوامش (الإحالات):**

[1] نقلنا هذا التعريف من كتاب: لعموري عليش، مدخل إلى تاريخ العلوم عند المسلمين، دار الأمل، الجزائر، 2009، ص: 17.

[2] Richard (L), Tlemcen, capitale du Maghreb central, Analyse des fonctions d'une ville islamique médiévale. In: Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n°20, 1975, P.55.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500 .1930، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص: 9.

[4] Georges (V), L'Algérie Pour Les Algériens, éditeur Michel Levy Frères, Paris, 1861, P: 26.

[5] Fray Diego (H), Topographie Et histoire Générale D'alger, Imprimé A Valladolid En 1612, Traduit De L'espagnol Par: Mm. Le Dr. Monnereau Et A. Berbrugger, 1870, P: 102.

[6] سعد الله أبو القاسم، مرجع سابق، ص: 9.

[7] نفسه، ص: 10.

[8] أبو الحسين أحمد إبن فارس، معجم مقاييس اللغة، (ج/ 3)، تحقيق: محمد هارون عبد السلام، دار الفكر للطباعة والتوزيع، بيروت، 1979، ص: 60.

[9] أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد بن محمد بن محمد لبن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: 606هـ/1198م)، النهاية في غريب الحديث والأثر، (ج/6)، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ/1979م، ص: 409.

[10] محمد بن مجمد بن سويلم أبو شهبة، السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنة، ج/1)، دار القلم، دمشق، 1427هـ/2015م، ص: 32.

[11] زكي مبارك، المدائح النبوية في الأدب العربي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا بيروت، 1935، ص:17.

[12] نفسه، ص: 19.

[13] سعد الله أبو القاسم، (ج/2)، مرجع سابق، ص: 327.

[14] أبو عبد الله محمد بن محمد ابن أحمد ابن مريم المديوني التلمساني (كان حيا سنة: 1025هـ/1625م)، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق: بوباية عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، 2014، ص: 481.

[15] نفسه، ص: 202.

[16] إسماعيل البغدادي، ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، (ج/1)، تصحيح: محمد شرف الدين بالتقايا رئيس أمور الدين، والمعلم رفعت بيلكه الكليسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، لبنان، (د.ت)، ص: 444.

[17] (فهرسة)، فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، تصنيف: الجزائري الشيخ البشير ضيف، منشورات ثالة، الجزائر، 2007، ص: 80.

[18] نفسه، ص: 80.

[19] سعد الله أبو القاسم، (ج/2)، مرجع سابق، ص: 328.

[20] أبو عبد الله محمد بن سليمان بن عبد الرحمن بن رزوق بن محمد بن عبد الرحمن بن موسى الأنصاري ابن الصائم الجازولي التلمساني (كان حيا سنة: 1066هـ/1656م)، مخطوط: كعبة الطائفين وبهجة العاكفين على قصيدة حزب العارفين، المكتبة الوطنية بباريس، يحمل رقم: 4601، الورقة: ب/ 184.

[21] (موسوعة)، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، دار النهضة، الجزائر، 2002، ص: 542.

[22] إبن ثابث التلمساني (ت: 1152هـ/ 1739م)، التفكر والاعتبار في فضل الصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي المختار صلى الله عليه وسلم، اعتنى به: دلال أحمد عبد الرحمن، توزيع مكتبة نور الهداية، حلب، 2008، ص: 17.

[23] سعد الله أبو القاسم، (ج/2)، مرجع سابق، ص: 329.

[24] محمد بوشقيف، مرجع سابق، ص: 102.

[25] أبو عبد الله محمد بن قاسم جسوس (ت: 1182هـ/1782م)، الفوائد الجليلة البهية على الشمائل المحمدية، طبعة حجرية، مطبعة الجمالية، مصر، 1330هـ/1925، ص: 11.

[26] نفسه، ص: 110.

[27] نفسه، ص: 153.

[28] نفسه، ص: 275.

[29] أبو الطيب الحسن بن يوسف بن مهدي بن يحيى بن مهدي بن محمد بن يوسف بن مهدي العبد الوادي ثم الزياتي التلمساني (ت: 1022هـ/1614م)، مخطوط: صلوات على النبي، مكتبة مخطوطات الأزهر الشريف، قسم الأدعية والأوراد، يحمل رقم: 40161، عدد الأوراق: 06.

[30] أبو الطيب الحسن بن يوسف بن مهدي بن يحيى بن مهدي بن محمد بن يوسف بن مهدي العبد الوادي ثم الزياتي التلمساني (ت: 1022هـ/1614م)، مخطوط: شرح صلاة ابن مشيش، مكتبة مخطوطات الأزهر الشريف، قسم مجاميع العلوم، يحمل رقم: 48592، عدد الأوراق: 08.

[31] المقري، أزهار الكمامة في أخبار العمامة، دراسة وتحقيق: المقري بدر، مركز الإمام الجنيد للدراسات والبحوث الصوفية، المغرب، 2014.

[32] يحيى ولد سيدي أحمد، بيبليوغرافيا تلمسان 1400 عنوان الإنتاج المعرفي لعلماء تلمسان على مدى 10 قرون، دار المعرفة، الجزائر، 2011، ص: 39.

[33] عبد الرحمن بالأعرج، "الحياة الثقافية بمدينة تلمسان خلال العهد العثماني"، مجلة قرطاس للدراسات الحضارية والفكرية، العدد الثاني ـ جانفي 2015م، ص ص: 134.

[34] أبو راس الناصري، الدرة الأنيقة في شرح العقيقة، دراسة وتحقيق: مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، الجزائر، (دت).

[35] يحيى ولد سيدي أحمد، مرجع سابق، ص: 94.

[36] أبو راس الناصري، المصدر السابق، ص: 158.

[37] محمد دنية، مصدر سابق، ص: 105.

[38] نفسه، ص: 105.

[39] يحيى ولد سيدي أحمد، مرجع سابق، ص: 68.

[40] نفسه، ص: 158 ـ 159.